الأهرام

المصدر : الأهـــرام

التاريخ : ١٧ أبريل ١٩٩٦

حرب روسيا فى الشيشان

٢

محنة شعب لايعرف رئيسه معنى الهزائم وحجم الخسائر البشرية

عبد الملك خليل

ادت وتؤدى حرب روسيا فى الشيشان التى استهدفت منذ بدايتها الجنرال دودايف الى المزيد من التفاف الشيشانيين حوله ورفع صورد والتبرك باسمه وتقديس القسم بحياته كانه احد الشهداء الابرار او الاولياء القديسين .

والمؤسف انه فى كل فترة بل بكل مناسبة على مدى الشهور الستة عشر من ضراوة الحرب الروسية فى الشيشان لم يخل الاعلام الرسمى الروسى من الترويج لتصريح من الرئيس يلتسين يتحدث فيه عن قرب انتهاء الحرب والقضاء على "العصاة" او "الاشقياء" الشيشانيين بينما تتشفع الامهات الروسيات المتضررات فى كل روسيا ليلتسين وقواده الميدانيين بغية معرفة مصير ابنائهن من المجندين الروس ولكن بلا جدوى !!

وكثيرا ما تساءل الناس العاديون : هل يعلم الرئيس يلتسين حقيقة وواقعية مايجرى فى ارض الشيشان وما حولها ؟ وفيما يحاول البعض "تجميل" الرئيس يلتسين بانه لا يدرى كل تفاصيل ما يجرى من ضراوة روحشية وتعسف قواته، فيقول جنرال من المؤسسة العسكرية - يرفض ان يذكر اسمه - إن " كل ما قيل اويقال عن خلافات بين المؤسسة الحربية الصناعية العسكرية والرئيس يلتسين هو كلام ساذج الى اقصى حد وان الغرض منه هو طعن القوات المسلحة الروسية وتبرئة موقف الرئيس الذى يشرف اشرافا مباشرا على كل خطوة من خطوات الجيش بل واعتباره مسئولا عما جرى ويجرى بخاصة فى اثناء خوض الحملة الانتخابية الرئاسية حاليا ".

والمذكرى فقد تضمنت مبادرة الرئيس يلتسين حول الشيشان عدة خطوات منها وربما السبب هو ان يلتسن بدور خبرة عسكرية لم يعرف حجم الخسائر إلا مؤخراً مما دفعه لان يقترح على الشيشان :

١ - وقف العمليات الحربية .

٢ - سحب الجيوش الروسية من الشيشان على مراحل وليس دفعة واحدة والى حدود الشيشان.

٣ - اجراء انتخابات حرة لتشكيل برلمان الشيشان وتاسيس سلطة شرعية منتخبه .

٤ - تحديد وضعية STATUS الشيشان

٥ - عقد ندوة لممثلى الشعب الشيشانى .

٦ - تشكيل لجنه برئاسة فيكتور تشيرنوميردين رئيس الحكومة الروسية للتطبيع .

٧ - عقد معاهدة بين الطرفين تضمن وتقضى ببقاء الشيشان ضمن كيان روسيا الاتحادية

٨ - اعطاء الشيشان اكبر استقلال ولكن بلا انفصال عن او من روسيا.

٩ - اصدار عفو عام باستثناء المجرمين الجنائيين.

١٠ - توفير الدعم المالى وتعويض المتضررين وانشاق الوفاق بالشيشان

ويضفى الرئيس يلتسين اهمية وجدية على مقترحات مبادرته اعد مسرح عملياته على مستويين : الشكل والمضمون .. فحول الشكل جمع معه امام شاشات وميكروفونات التليفزيون الدولى اشهر معلقين ومقدمى برامج تليفزيونيين يدعيان للوضوعية والتجرد والحياد والكفاءة المهنية . ومن ناحية المضمون قام بعمليات لها مغزاها بالتصريح بانه لا يبدا عرض مبادرته من موقف استسلام واستجداء السلام فى الشيشان او غيرها ليذيع فى الانتخابات الرئاسية ضد العديد من المنافسين الاقوياء.. ولسوء الحظ افضت خطواته من حيث المحتوى الى تزايد الشكوك فى جدوى مبادرته ونزاهة احكامه وصدق نواياه من واقع جانبها العملى التنفيذى التطبيقى لوقائع منها على سبيل المثال لا الحصر مايلى :

اولا : اكتشافه بانه اوحى للعسكريين الروس تشديد هجماتهم وتدميرهم وقصفهم للمدن والقرى والتجوع الشيشانية التى يشك فى مساعدتها للمتمردين الشيشان بحثا عن دودايف كان العسكريين الروس لم يتجرءوا بعد الهزيمة المنكرة لهذا اعلنوا ان مقترحات المبادرة لاتعنى ايقاف الحرب بين ليلة وضحاها !!

ويفضى هذا الى ان يلتسين بضعف خبرته العسكرية لم يصدق مثل ادولف هتلر الهزيمة إلا مؤخرا جدا !!

ثانيا : لم يجب الرئيس عمن كان ولايزال المسئول عن استمرار الحرب، بعد ان دامت اكثر

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

من ١٦ شهرا سفكت فيها دماء غزيرة واستشهد فيها الوف من القتلى والجرحى والمشردين من كل الاعمار والمهن ذكورا واناثا من الجانبين : الروسى والشيشانى .

ثالثا : تظاهر يلتسين بانه على استعداد لقبول وساطة من العرب المسلمين بينه وبين دودايف اولا ثم ارسل لاحقا برقية الى دودايف فى تاريخ لاحق .وكان السؤال الذى يطرح نفسه انذاك وبعدذاك هو لماذا رفض يلتسين التفاوض مع دودايف سنة ١٩٩٤ او حتى استدعاءه او قبول وساطه او مندوبيه على اساس انه رئيس جمهورية منتخب فى الشيشان او حتى على مستوى ان دودايف لايزال يتمتع برتبة جنرال طيار فى القوات المسلحة السوفيتية السابقة الروسية التالية او حتى على مستوى انه مواطن عادى من مواطنى روسيا الاتحادية الذى من حقه ان يتقدم بمظلمته لرئيس روسيا إما بشخصه او بمن ينوب عنه او يتلطف يلتسين كرئيس لكل الروس أن يستمع او يسمع عن ظلم او غبن حاق بدودايف او اعوانه او انصاره او شعبه الواقع فى جنوب روسيا مما يسمح نفور بل وعداوة عشرات العقود من الزمان ؟

رابعا : لم يكشف يلتسين عن السبب فى ان انصاره ورجال قواته المسلحة هم الذين زودوا دودايف بالاسلحة فى نظير وعد من دودايف بالوقوف ضد الشيوعيين الروس وفى رابطة الكومنولث ؟

خامسا : كيف يمكن ان يدعو يلتسين الى التفاهم مع دودايف بالوساطة مع انه يصف حركة المقاومة الشيشانية بانها "حركة ارهابية"بينما يفصح استمرار المقاومة الشيشانية بتعدد اشكالها وانماطها حتى المظاهرات السلمية الاحتجاجية عن حركة شعب باكمله يرفض الهيمنة الروسية المتغطرسة ؟

لهذا ظهرت وتظهر مبادرة يلتسين بعد ايام من صدورها وكانها قد دخلت ركنا معقدا في مسار التسوية السلمية فى الشيشان زاد من تأرجحها وتذبذبها رفض دودايف لها لعدم اقتناعه لبعض نقاط مقترحاتها وطرحه شروطا اضافية تذل صلف يلتسين وغيابته التى تسببت فى الحرب الضارية الهوجاء .

وحتى كتابة هذا العرض يمكن القول بان سعى يلتسين للتودد والتظرف لدودايف - بغير ظرف - لا تفضى للنتيجة ايجابية سريعة على النحو الذى كان يتوقعه يلتسين او يتخيله ناصحوه ومستشاروه وفى مقدمتهم اميل باين رئيس فريق العمل الروسى الذى خوله يلتسين تنفيذ تطبيع الوضع فى الشيشان طبقا لمقترحات المبادرة . ومن المثير ان يعرف القراء العرب ماذا اجاب دودايف على يلتسين اذ قال "موسكو لم تفهم فى سنة ١٩٩٤ (وقت نشوب النزاع والتدخل العربى الروسى) ولا تفهم الآن اننا كشيشانيين سنقاتل حتى آخر شيشانى من اجل استقلالنا وسنقاتل فى المستقبل ايضا لنفس الهدف كما ندين قادة المناطق الشيشانية عملاء موسكو الذين يوقعون على اتفاقيات مع المحتلين الروس لانهم خونة وسيحاكمون .ان موسكو فى مازق وهى تستعد للانتخابات الرئاسية ..ان فريق يلتسين يريد التمسك بالسلطة ولايرغب فى السلام ولايريد ان يعترف بفشله .وفى الدول المتحضرة يرحل الحكام او يبعدون فى مثل هذه الحالات الا ان يلتسين هو خارج هذه الاطر المتحضرة المتمدينة الراقية ..كما لايوجد فى القيادة الروسية الراهنة ساسة يتسمون بالعقل السليم والرشد الراجح .

ويلاحظ انه اذا اقر يلتسين بالتفاوض المباشر معنا فهذا يعنى انه قد استسلم امامنا مما يعنى انه سيغادر السلطة ..اننا نرى بداية المفاوضات الحقيقية معنا هى المفاوضات التى تبدأ بعد وقف الحرب وسحب الجيوش الروسية من الشيشان .. ومن هنا فاننا نرى ان خطوات يلتسين هى خطوات فاشلة وهو نفسه شخص فاشل لان اقواله شئ واعماله شيء آخر مختلف تماما.. فالحرب قائمة ومستمرة بعنف حتى بعد تصريحاته يوم الاحد ٢١ مارس الماضى .. لايمكن حل القضية الشيشانية بعيدا عن الشيشانيين .ومن هنا فان استعداد يلتسين للتفاوض معنا من خلال وسيط هو نوع من النفاق والرياء .وربما الدليل على ذلك ان يلتسين نفسه قد رفض وساطة سابقة عرضها سيخانيل جورباتشوف واركادى فولينسكى (رئيس اتحاد الصناعيين والمقاولين) وشامبيف ورئيس جمهورية تترستان وغيرهم.."

وفى تطور لاحق ظهر ان دودايف يقترح كشرط لبدء المفاوضات طرد بعض الشخصيات الكبيرة من السلطة الحاكمة الروسية مما دفع تشيرنوميردين رئيس الحكومة الروسية للغضب فيقول ان "دودايف مجرم ولايحق له فرض شروطه علينا".

وربما نسى او تناسى رئيس الحكومة الروسية فى فورة غضبه ان الرئيس يلتسين قد ارسل برقية له، ومن الاعراف الدولية لايراسل الرؤساء

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

في عالمنا المجرمين !! ويؤدي ذلك الى نوع من اللخبطة والخلط بين الاقوال والافعال في الادارة الروسية الحاكمة او في اوفي الحالات الى وضوح عدم تنسيق علاقتها مع رئيس الدولة يلتسين لان الامر الاكثر وضوحا هو ظهور معيارين ونقديرين لقيادة يفترض فيها انها قيادة موحدة على نطاق . الدولة والحكومة والبرلمان والقضاء والامن والنيابة العمومية ويبدو ان كل مسئول روسي منخرط في المعضلة الشيشانية يفسر الامر على هواه ومن منطلق مركزه التنفيذي وهواه الاداري !!

ولعل اوضح مثال على ذلك قول الجنرال بافل جراتشوف (كما ينطق الروس ويكتبون اسمه بالروسية) ان الجيش الروسي باق في الشيشان في مواقعه منذ الاول من ابريل (اي بعد يوم من اعلان مقترحات مبادرة يلتسين) وان الجيش الروسي ينفذ اوامر الرئيس يلتسين ويرد وسيرد على النار بالنار وسيضرب من لا يذعن لقرارات يلتسين وسيقاوم العصاة". وفي موضع آخر اكد مارلتاجوف السكرتير الصحفي للرئيس الشيشاني زافجايف المعين من يلتسين انه " لامعنى للمفاوضات السياسية مع انصار دودايف "

مرشحون للتنديد بميدان بوشكين

وفي مواجهة ذلك نظمت مظاهرة كبرى تجمعت في ميدان الشاعر بوشكين في وسط موسكو في نهاية الاسبوع الماضي اشترك في قيادتها جريجوري يافلينسكي زعيم كتلة يابلوكا وميخائيل جورباتشوف المرشح لرئاسة روسيا والجنرال الكسندر ليبيد النائب الشهير في مجلس النواب الروسي والسيدة فليريا نوفودفورسكايا اليمينية المتطرفة زعيمة كتلة " الاتحاد الديمقراطي "

وبعد ان ندد المتظاهرون بالحرب ومسببيها طالبوا بايقافها فورا في الشيشان ورفعوا شعارات منها "يلتسين سفاح" و"انقذوا روسيا من بطش يلتسين" و"ارجعوا اولادنا من الشيشان". وقال يافلينسكي : "حرب الشيشان هي حرب لا اخلاقية اوضحت ان شعبنا قد غدا ضحية لنزوات القادة السياسيين والعساكر المتطرفين.. وهي حرب كارثية لايوجد فيها فائز او خاسر وان الشعوب هي المتضرر الوحيد"

واشار الجنرال ليبيد : هذه الحرب فاشلة منذ يومها الاول لتشويهها وقد سقط مشعلوها في مستنقع آسن ولكنهم يخفون فشلهم ويريدون اقناع الشعب بضرورتها إلا ان الشعب يرفضها ويدين مسببها. واتهم ليبيد قيادة الجيش الروسي بالغباء وترويج الاكاذيب، وكشف الجنرال ليبيد النقاب عن امر صادر من القيادة الروسية يقضي بقتل دودايف .."وبعد ان فشلوا في تحقيق ذلك امروا باجراء المفاوضات معه" مما يكشف عن التخبط بعينه في اوضح معانيه" كما يوضح ليبيد بمرارة. وتحدث الرئيس السوفيتي السابق ميخائيل جورباتشوف فقال ان الحرب الشيشانية "واحدة من مصائب كثيرة حلت بروسيا لقد رفضت القيادة الروسية نداءات العقل السليم واستمرت فيها .وهاهي القيادة تصرح بانها تريد لها حلا ولكن بعد اراقة الدماء .من حرب هي حرب العار على روسيا كلها ".

وفي نعية هذه اللخبطة يضيف الرئيس يلتسين في مؤتمر لانصاره قائلا : ان مينتيمر شاميبف، رئيس جمهورية تتارستان ونور سلطان نزاربايف رئيس جمهورية قزاخستان قد شرعا بالوساطة لحل المعضلة الشيشانية سوانتصر فلا تستعجلوا في انزال صوري ..لا عودة لحكم امبراطورية الشر ، ويقصد بامبراطورية الشر وصف الرئيس الامريكي السابق رونالد ريجان للاتحاد السوفيتي السابق .ومن المثير ان ريجان قد اعتذر عن تعبيره في اول زيارة له لموسكو منذ سنوات بينما كان يلتسين في تاريخ لاحق يلقي خطبته في اجتماع موسع للحزب الشيوعي السوفيتي في الثمانينات وعنوانها "المذهب اللينيني الشيوعي راية عصرنا "

فماذا بعد ذلك ؟ لاشيء سوى استمرار تفوق لعبة الحرب على نداءات السلام ، لكن السلام قادم بالقطع ولكن مع تطور نهج روسيا ورشدها في فهم ان الامر ليس امر حق وخطأ وانما الاقرار بحقين - حق روسيا في وحدتها وتكامل حدودها وحق الشعب الشيشاني في تقرير مصيره على تراب وطنه خاصة انه مصير تدشن بدماء الضحايا في ابشع ملحمة انسانية معاصرة بعد فيتنام .

هكذا كان تصور وزارة الخارجية المصرية في سنة ١٩٩٤ وسيكون من ثوابت الحلول السلمية في المستقبل .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية